الخاتمة
إبداعات أفريقية في النضال الديمقراطي

«يمكن قتل الثوار ولكن أفكارهم لا يمكن ابدًا أن تموت» توماس سانكارا

يذكرنا شعار الثورة « ٢٧ سنه تكفي» الذى رفعه المتظاهرون في بوركينا فاسو في أكتوبر ٢٠١٤ بحركة« كفاية »المصرية التي طالبت مبارك بالرحيل عن السلطة. ولاشك أن شروط هذه الثورة لم تظهر بالتأكيد بين عشية وضحاها. لقد تراكمت على مدى ربع قرن، وهو ما يجسده ببلاغة وعفوية هذا الشعار الثوري الذي يعبر عن فترة حكم كومباوري . وغالبا ما أشار النقاد كيف أن نقيب الجيش السابق قد وصل إلى سدة السلطة من خلال انقلاب عسكري واغتيال الرئيس توماس سانكارا، رفيقه في النضال الوطني وزعيم الثورة الأكثر شعبية وتأثيرا. لم تكتف الطغمة العسكرية الحاكمة بزعامة كومباوري بسجن وتعذيب وقتل، أو حتى نفي الموالين لسانكارا ولكنها تخلت أيضا عن العديد من المبادرات الثورية لنظام سانكارا، مثل التعبئة العامة من أجل بناء المدارس والعيادات الصحية وزيادة الاعتماد على الموارد المحلية لتطوير الاقتصاد. فقد انحاز نظام كومباوري بدلا من ذلك إلى التحالف مع النخب الاجتماعية المحافظة في الداخل، والاعتماد اعتمادا كبيرا على المساعدات الخارجية والعلاقات الوثيقة مع العواصم الغربية الكبرى، وخاصة باريس، عاصمة البلد المستعمر السابق .

لقد شهدت أعوام التسعينيات وفي وقت مبكر موجة من الحركات المطالبة بالديمقراطية في معظم أنحاء أفريقيا بما في ذلك بوركينا فاسو. فقد واجه نظام كومباوري سخطا شعبيا متزايدا بالإضافة إلى بعض الضغط من فرنسا، دفعه ذلك كله إلى هندسة عملية مدبرة بعناية من أجل التحول إلى الحكم الدستوري والانتخابات التعددية.لقد نصب آلة الحزب المهيمنة التي تعتمد جزئيا على تزوير

الانتخابات وعلى استخدام موارد الدولة في تقويض المعارضة وتأمين حصوله على نسبة عالية من الأصوات في الانتخابات المتكررة. وعلى الرغم من هذا الزيف الديمقراطي فقد كانت بوركينا فاسو دولة «شبه سلطوية».

ازداد الطابع القمعي للنظام بشكل كبير، والذي يجسده اغتيال الصحفي المستقل نوربرت زونغو Norbert Zongo عام ١٩٩٨. وقد أشارت الدلائل إلى تورط الحرس الرئاسي لكومباوري، وذلك من أجل إسكات زونغو ومنعه من التعرض لفضيحة تورط فيها شقيق الرئيس. وقد أثارت جريمة القتل تلك أعمال احتجاج لفترة طويلة في البلاد. تمكن كومباوري من الاستمرار في السلطة، من خلال أساليب الخداع تارة والمناورة والاستقطاب والوعود بالإصلاح تارة أخرى . شملت هذه الوعود اعادة تقييد فترة الرئاسة بولايتين وفقا لنص الدستور، والذي كان قد تم إلغاؤه في عام ١٩٩٧ .،ولكن المحكمة الدستورية قضت بأن النص الجديد لن يطبق بأثر رجعي، مما أهل كومباوري للفوز بولايتين أخريين في عام ٢٠٠٥ و ٢٠١٠.

في أوائل عام ٢٠١١، وبعد بضعة أشهر فقط من إعادة انتخاب كومباوري ، هوت البلاد مرة أخرى في أزمة حادة. تصاعدت الأحداث هذه المرة جراء وفاة طالب من الضرب الشديد على أيدي قوات الشرطة. بدأت حالة السخط العام بمظاهرات الشباب الغاضبة ، واستمرت لعدة أشهر من خلال المسيرات المتتالية للعمال، ومظاهرات القضاة والتجار وعصيان قوات الجيش والشرطة، واحتجاجات المزارعين، والهجمات على مواقع التعدين. على أن هذه الاحتجاجات لم تكن محددة الاتجاه، وهو ما دفع بأحزاب المعارضة لمحاولة توظيفها لخدمة مصالحها السياسية .

ونظرا لكثرة الضربات التي تلقتها حكومة كومباوري والاحتجاجات الشعبية المتوالية استطاعت المعارضة تنظيم نفسها وتحقيق بعض المكاسب على الأرض. ففي الانتخابات التشريعية التي أجريت في ديسمبر ٢٠١٢، ازداد تمثيل

المعارضة من اثني عشر نائبا لثمانية وعشرين، وتولى زيفيرين ديابري Zéphirin Diabré رئاسة المعارضة وتشكيل تحالف سياسي واسع يضم نحو أربعين حزبا سياسيا. وحينما دفع الحزب الحاكم باتجاه تعديل الدستور للسماح بإنشاء مجلس للشيوخ يهيمن عليه مؤيدي كومباوري نظرت المعارضة لهذه الخطوة باعتبارها تمهيدا للطريق من أجل رفع القيود المفروضة على مدة الرئاسة. استطاعت أحزاب المعارضة خلال النصف الثاني من عام ٢٠١٣ ، وبدعم من النقابات العمالية ومنظمات المجتمع المدني، منع الموافقة على إنشاء مجلس الشيوخ.

ظهرت حركات معارضة جماهيرية عفوية بعيدا عن المؤسسات الحزبية التقليدية. فكما أظهرت خبرة الكونغو الديموقراطية ظاهرة «برلمانات الشوارع»، وشهدت بنين فكرة «المؤتمر الوطني» فإن بوركينا فاسو شهدت ظاهرة الاحتجاج بالموسيقى. ففي صيف ٢٠١٣ تأسست حركة« المكنسة المواطنية»، وهي حركة شعبية سياسية مناهضة للرئيس بليز كومباوري تأسست من قبل اثنين من الموسيقيين، الفنان لو جاه ومغني الراب سيرج البامبارا أو«سموكي». نظمت الحركة عدة احتجاجات في أوائل عام ٢٠١٤. وعلى سبيل المثال قامت باستضافة حشد الجماهير مع حركة «مواطنون من أجل التقدم» حيث امتلأت مدرجات الإستاد الرياضي وسعته ٣٥ ألف شخص عن آخره.

وعندما اندلعت انتفاضة بوركينا فاسو في أكتوبر ٢٠١٤ أصبحت المجموعة تمارس دورا بارزا في الاحتجاجات. وتعيد هذه الحركة تقاليد« السنكارية» السياسية في البلاد حيث كانت تستحضر دائما ميراث توماس سانكارا. ولعل اسم الحركة له دلالة رمزية ، فهو يعني قيام المواطنين بتنظيف شوارع واغادوغو في أعقاب رحيل كومبابوري، بما يعنيه ذلك من تنظيف للبلاد من الفساد. واللافت هنا أن هذه الحركة تكررنفس تجربة حركة « طفح الكيل» السنغالية والتي تأسست في أعقاب الإطاحة الشعبية بالرئيس زين العابدين بن علي عام ٢٠١١. إذ بعد أيام عديدة من التظاهر،اضطرت الحكومة السنغالية أن تسحب مشروع تعديل

الدستور الذي اقترحه الرئيس عبدالله واد، واعتبره الشعب مناورة ترمي إلى إيصال ابنه «كريم» إلى سدّة الحكم. ولاشك أن هذا النضال من أجل الحرية يؤسس وفقا لفناني الراب في غرب أفريقيا فهما جديدا للسياسة يقوم على مبدأ جمهورية المواطنين[1].

لقد استلهم المتظاهرون في بوركينا فاسو روح النضال من توماس سانكارا حيث رفعوا صوره ورددوا شعاراته وكانت خطبه وكلماته الثورية تملأ جنبات وغادوغو. إنها الروح الملهمة لتشي جيفارا الأفريقي. لقد اعترف المقدم زيدا الذي أعلن نفسه حاكما مؤقتا في أعقاب عزل كومباوري أن قرار شعب بوركينا فاسو يؤكد على أهمية العودة لروح ثورة أغسطس ١٩٨٣ بقيادة سانكارا.

(١) جاك دونى ، السنغال. تعظيم الدور السياسى للشباب المصدر: الأهرام اليومى ،٤ أبريل ٢٠١٥.

obeikan.com